

السياق والقصدية مقارنة تداولية في شعر أبي نواس

المفهوم والتطبيق --

كلمة المفتاح : السياق

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

طالب الدكتوراه حسين عمران محمد

أ.م.د. علي متعب جاسم

جامعة كرميان / سكول اللغات والعلوم الإنسانية

جامعة ديالى / كلية التربية والعلوم الإنسانية

Husseinomran490@yahoo.com

DraIi-a20002@yahoo.com

الملخص

إنّ بحثنا الموسوم بـ " السياق والقصدية مقارنة تداولية في شعر أبي نواس - المفهوم والتطبيق - يسعى إلى قراءة الخطاب الشعري وتحليله لأحد أبرز شعراء العصر العباسي هو أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي على وفق قراءة تعتمد مصطلح السياق الشائع والمؤثر في الدرس اللغوي عامة والمتسع في الدراسات التداولية مع استثمار أحد أهم المفاهيم الأساسية في اللسانيات الحديثة، من جانب، والركيزة الرئيسة والفاعلة في التداولية، واعني بذلك القصدية .

وقد أستهل البحث بمقدمة نظرية تناولت فيها أهمية السياق وأقسامه عند الدارسين والفرق بين النوايا والمقاصد تلتها أربعة مباحث، في الأول منه سلط الضوء على السياق ولغة المجتمع، وأختص الثاني ببيان السياق الحضاري والتداوليات الخاصة، واعتنى الثالث بالقصد وأنماط السياق، أما الأخير فقد عالجت فيه السياق وبنية الأمثال. ثم ختمت البحث بأهم النتائج .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى وعلى أهل بيته المعصومين واصحابه المنتجبين . وبعد ...

يساعد السياق طرفي الخطاب على تأطير الدلالة وترسيم حدودها ، كما يعدّ في الوقت نفسه آلية من آليات انضباط القراءة ، ومن ثم يبعد المستمع أو المتلقي عن الشطط في التأويل ، ويحيدهما عن المروق من أخلاقياته .

وتصدر العلاقة اللغوية من فكرة اعتباطية في أصل وضعها اللغوي، لكنها لا تلبث أن تكتسب سمة الانتظام، ومرد الانتظام الذي تكسبه الربط الذهني المتسق الواصل بين العلاقة وما تدل عليه، ولكن السّياق هو الذي يحتكم اليه في تعيين المعنى المراد.^(١)

مدخل

يضطلع السّياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلاقات^(٢). وغدا مصطلح السّياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي منذ أن ابتدعه (مالينوفسكي) ليتسع في الدراسات التّداوليّة. ومن الجدير بالتنويه أنّ السّياق وهو المحيط الذي توجد فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة والذي يتحدد من خلال المعنى المقصود يقسمه الدارسون على قسمين هما:

١- السّياق اللغوي: وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات أخرى؛ أي أنّه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي بما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة، تفيد في الكشف عن معنى الكلمة أو الجملة .

٢- السّياق غير اللغوي: ويسميه الدارسون (سياق الحال أو الماخرجات) ويقصد به الظروف الخارجة عن اللغة المتعلقة بالمقام الذي تورد فيه الكلمة ويشمل جميع الظروف المحيطة بالحدث اللغوي (سياق الموقف، العصر، نوع القول، وجنسه، المتكلم أو المخاطب، المستمع أو القارئ)، العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة، الجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية وظروف الجو وإيماءات أو اشارات عضوية.^(٣) ونلاحظ ثمة تشابها بين التّداوليّات من جهة والسّياق غير اللغوي من جهة أخرى وهو تشابه لا يعني التطابق، ذلك أنّ التّداوليّات أعطت زخما للسّياق بمعاملته سياق مستعمل اللغة وليس سياقاً بحد ذاته. السّياق ليس مجرد عرض للمنظور الجملي، كما هو الحال عند مالينوفسكي وفيرث وهاليداي أنّه الموقف الاجتماعي الذي يتم الكلام فيه.^(٤) " ولهذا فإن معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة وحدها لن تغني المرسل اليه في معرفة قصد المرسل بمعزل عن السّياق؛ لأنّ مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المرسل من خطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى لو كان الخطاب واضحاً في لغته؛ لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه " .^(٥)

وهنا يجب أنّ نفرق بين النوايا والمقاصد، إذ إنّ المقصد ينسحب فقط على انجاز عمل بعينه على حين تتسحب النية على الوظيفة التي يمكن أنّ تكون لهذا العمل أو الحدث. فيمكنني

أنّ انجز الحدث (غمز العين) عن وعي، وإن لم تتوافر لديه نية لتقديم علاقة شخص لآخر. أما حدث " فتح الباب " فإنّي أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج ومن ثم فإنّ أغلب الاحداث التي نقوم بها تتضمن نية . ولذلك تمتد تلك النية الى الحال أو الحدث الذي نرغب في ايجاده أو نأمل في ايجاده لفعلنا أو من خلال فعلنا.^(٦)

بعد هذا التمهيد النظري نعالج المتن الشعري النواصي في ضوء مصطلح السّياق على وفق المباحث الآتية :

المبحث الأول : السّياق والمجتمع

تتعدد السّياقات على وفق كل جماعة ، فكل قوم لغة ولكل مجتمع لغة ولكل مهنة لغة ، كما تتوزع فيها السّياقات بمدارات الرقة والغلظة وغيرها من الصفات العرضية والأصلية للأصوات .^(٧) ومن النماذج التي كان تأثير سياق لغة فيها المجتمع واضحا فيه قول أبي نواس يهجو أبا خالد النمري :^(٨)

كيف تركت الإبل والشاء؟

حيث ترى التّنوم والاء

ولم يكن بالمصر تّناء

واتبع اليهياء يهياء

لطيبها كنت الغبيراء

حتّى تحسّي فوقها الماء

يا راكبا أقبل من تهمد

وكيف خلقت لوى قعنب

جاء من البدو أبو خالد

إذا دعا الصاحب يهيا به

لو كنت من فاكهة تُشتهى

لا تعبر الحلق الى داخل

الحدث الكلامي الرئيس يتمحور حول الهجاء ، وتنشظى في فضاء هذه القصيدة حقول دلالية فرعية أبرزها نمط الحياة البدوية ولاسيّما رعي الابل والشاء بوصفهما أبرز النشاطات أو الفعاليات التي يمارسها الانسان في تلك البيئة ، وكذلك الإشارة الى ألفاظ المعجم اللغوي لتلك الجماعة كما في البيت الرابع الى جانب مستواها الثقافي من خلال أساليب تعبيرهم ولاسيّما صيغة النداء (البيت الخامس من القصيدة)، كذلك الإشارة الى الغطاء النباتي بذكر شجرة الغبيراء. ونلاحظ بوضوح أنّ الالفاظ والتراكيب الدلالية عكست أثر السّياق في ما قيل ، بعبارة أخرى أنّ المرسل - أبا نواس- وظّف سياق الحياة البدوية بوصفها محيطا اجتماعيا للتعبير عن قصده للنيل من المهجو أبي خالد النمري . إنّ القراءة الفاحصة لقوله :

كيف تركت الإبل والشاء

يا راكباً أقبل من تهمد

تُبَيِّن بصورة جليّة توافر مسافة بين القول والمقصد من جانب المرسل ، وإنّ الفعل الإنجازي بصيغة الإستفهام في قوله : " كيف تركت الإبل والشاءا " لم يكن في الواقع السؤال أو الإستفهام عن حال التي ترك فيها أبو خالد هذه الإبل والشاء من صحة أو سقم أو غير ذلك ، أي أن اداة الاستفهام " كيف " خرجت من الدلالة الحرفية الى دلالة غير مباشرة هي الاستهزاء والسخرية من المهجور وهذا هو أحد الاغراض الانجازية الفرعية للخطاب أو هو قصد الشاعر . والذي يعضد هذا القصد ، موضع هذا السؤال البلاغي في سياقه اللغوي .
وأما قوله :

وَيَتَّبِعُ الْيَهْيَاءُ يَهْيَاءَا

إِذَا دَعَا الصَّاحِبُ يَهْيَا بِهِ

فإنّ هذا التلطف يتضمن معرفة سابقة من المتكلم - أبي نواس- بالبيئة ونمط أسلوبها في النداء ؛ لأنّ معنى " يهيا به " هو " يصيح به ".^(٩) وهو عنصر لغوي يستعمله الأعراب بوصفه أداة نداء .^(١٠) ومن ثم يؤول هذا البيت تأويلاً تتجه فيها الدلالة صوب الاستهزاء والسخرية . وهنا يكشف لنا السّياق المقالي الاستغناء عن الدلالة الحرفية للبيت ؛ لأنّ المتكلم لا يريد من هذا البيت الاستدلال بـ " يهيا " على أنّه من أدوات النداء المستعملة في العربية كما هو الحال عند اللغويين والنحويين ، بل اتجه قصده الى الاستهزاء بأبي خالد على المستوى الظاهري ، وأما على مستوى البنية العميقة فالسخرية من البدو وأنماط حياتهم بشكل عام وإسلوبهم في التحاور والنداء بشكل خاص . ولذلك " فالسّياق التواصلي يجمع بين ما توفره المعطيات اللسانية من معلومات تمثل مقدمات أساسية وبين ما يملكه كل مشارك من رصيد معرفي مشترك ، فلا يمكن لأيّ محادثة أن تجري بصورة مميزة ومفيدة دون أن تخضع لهذا الرصيد المشترك فينشأ التأويل في هذا السّياق التواصلي وبه يتقيد المؤول في ضبط المعنى ".^(١١) أما قوله في البيتين الأخيرين :

لَطِيْبَهَا كُنْتَ الْغُبَيْرَاءَا

لَوْ كُنْتَ مِنْ فَاقِهَةٍ تُشْتَهَى

حَتَّى تُحْسِي فَوْقَهَا الْمَاءَا

لَا تَعْبُرُ الْحَلْقَ إِلَى دَاخِلِ

فقد أسهم السّياق المتصل بوضعية الخطاب في انجاز فعل كلامي القصد منه ليس الدلالة الحرفية للقول ، بل المراد من ذلك أنّه غير مستساغ ، ويندرج هذا الغرض الانجازي الفرعي تحت الغرض الانجازي الأكبر - الهجاء- ، ومن ثم فإن فعل الرفض هو الفعل الذي أنجزه أبو نواس في سياق الهجاء.

المبحث الثاني : السّياق الحضاري والتداوليّات الخاصة

وفي ضوء تأثير السّياق في ما يقال ، وأن لكل مجتمع لغة متداولة في حياتهم تبرز الطرديّات بوصفها نصوصا تصف الصيد وأدواته وآلاته كالكلاب والصقور والديكة بوصفه ميداناً خصباً في المعالجة التّداوليّة لـ " تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين " . (١٢)

ومن أبرز طرديّات أبي نواس قوله يصف ديكا : (١٣)

كريم عمّ وكريم جدّ !	أنعتُ ديكاً من ديوكِ الهندِ
ولا قُضاعيّ ولا في الأزديّ	لنسبةٍ ليست الى معدّ
ضخم المخالبيّ ، عظيم العضدِ	مفتّح الريشِ شديد الزندِ
ونجمه في النحاسِ لا في السعدِ	حتى إذا الديكُ إرتأت من بُعدِ
يخطرُ خطراً مثل خطرِ الأسدِ	رأيتُهُ كالفارسِ المعدّ
ويعب مُوصلٍ بجهدِ	يقشّه بالكدِّ بعد الكدِّ
مُفكّراً يعظّمهُ بالسّجدِ	حتى ترى الديكُ له كالقدِّ

يا لك من ديكِ رُبي في المهدِ !

يفصل أبو نواس في هذه الطرديّة وصف الديك وصفا يظهر فيه البعد الاجتماعي بوصفه كريم النسب (البيت الأوّل) والبعد الجسدي - (في الابيات ٣-٦) والبعد النفسي في (البيت الأخير). ويختما بالتعجب بقوله : " يا لك من ديكِ رُبي في المهدِ " . إنّ الدلالة الحرفية في البيتين الأوّل والثاني :

كريم عمّ وكريم جدّ	أنعتُ ديكاً من ديوكِ الهندِ
ولا قُضاعيّ ولا في الأزديّ	لنسبةٍ ليست الى معدّ

هي أنّ لهذا الديك الهندي نسبا شريفا ودوحة كريمة لم تهب مثله للقبائل العربية من معدّ أو قضاة أو الأزدي . أما الدلالة القصدية للمتكلم فهي السخرية من هذه القبائل والامتعاض من ثقافتها لاسيما الفخر بالأنساب . إنّ الفخر بالعشيرة والنسب متداول ليس بين العرب فقط بل بين أغلب الجماعات البشرية لاسيما في الحياة البدوية ، لكن أبا نواس سحب هذا المعنى من مجاله الإنساني الى مجال آخر هو عالم الحيوان والطيور والقصد هو السخرية والإستهزاء بقيمة من قيم التقاليد والعادات التي تفعل بطريقة سلبية وغير الحضرية في قطاعات واسعة من المجتمع . والذي أسهم في نمو هذا اللون من التفكير عند أبي نواس

من نبت الحياة العربية البدوية هو البيئة التي عاش فيها أبو نواس والتي امتازت بتمازج الثقافات، وتفاعل القوميات والأعراق ، وضعف العنصر العربي قليلا في العصر العباسي . وفي سياق الأغراض التجديدية كان أبو نواس في جانب من هجائه يذم حياة الأعراب في البادية ، أي حياة الخشونة والتعسف والبعد عن الحضارة ، ويذم كذلك وقوف الشعراء على الأطلال وبكاءهم على الديار ، ويدعو الى رفض ذلك والأخذ بما يوافق الحضارة المادية الجديدة . ولكنه لم يفعل ذلك بغضا منه للعرب أو تعصبا للفرس ، بل كان ذمه رفضا لتلك الحياة البدوية ؛ ولأنّ الحياة عنده هي الحياة المادية الحضارية وأجمل شيء فيها وأبهاه مجالس الشّراب والجواري والغلمان .^(١٤) في ظل هذه الحياة الحضارية بدا استعمال أبي نواس للألفاظ والمعاني في سياقها الجديد منحى جديدا يختلف عن المعاني السابقة ، ومن ذلك لفظة " الشقي " الدالة على الإنحراف عن الصراط والتشبث بزخارف الدنيا في الأدبيات الدينية أوكلّ من يشقى بسبب سلوكه أو فعله . أما عند أبي نواس فإن هذه اللفظة أخذت دلالة جديدة ومعنى يختلف عن معناها السابق من ذلك قوله :^(١٥)

عَاجَ الشَّقِيَّ عَلَى دَارٍ يُسَائِلُهَا وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ الْبَلَدِ
لَا يُرْقِيُّ اللَّهُ عَيْنِي مَنْ بَكَى حَجْرًا وَلَا شَفَى وَجَدَ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتِدِ

إنّ لفظة " الشقي " في خطاب أبي نواس ليس المقصود منها الدلالة الحرفية ، وإنّما تدل على الواقف على الطلول مسائلا إياها عن كان بها وقد أطلق عليه هذا اللفظ سخرية واستهزاء .^(١٦) استدل الغزالي بوصفه متلقيا على القصد الإحالي للمتكلم استنادا الى معرفة مسبقة لحال المرسل ومقام المقال كونهما عنصرين من عناصر السّياق الخارجي . والمقصود من حال المتكلم هو الثورة التي قادها أبو نواس على الأطلال ودعوته العلنية لتحديث البناء الشكلي للقصيدة . ومن ذلك أيضا قوله في كشف حال رجل يريد أن يستريح حاله :^(١٧)

تَفْتِيرُ عَيْنِيكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْكَ تَشْكُو سَهْرَ الْبَارِحَةِ
عَلَيْكَ وَجَهٌ سَيِّءٌ حَالُهُ مِنْ لَيْلَةٍ بَتَّ بِهَا صَالِحَةُ
رَائِحَةُ الْخَمْرِ وَلذَاتُهَا وَالْخَمْرُ لَا تَخْفَى لَهَا رَائِحَةُ

التحليل النفسي من الخصائص المتأخرة في العصر العباسي ، وحاول أبو نواس في تجاربه الشعريّة من تصوير عواطف البشر واطهار مكنونات صدورهم وأجاد على الأخص

في وصف الأثر الذي تتركه الخمر في شاربها. ^(١٨) والخطاب النواصي أتكأ في تكوين عناصره اللغوية على سيميائية الجسد في بعده السببي ، وقوله : " تفتيرُ عينيكَ " علامة سيميائية سببها سهر الليل من أجل شرب الخمر .
وأما قوله :

عليك وجهٌ سيءٌ حاله من ليلةٍ بتَّ بها سالحة

إنَّ السِّياق يكشف للمخاطب والمتلقي أنَّ القصد من " سالحة " هو طالحة أي الفسق والفجور، ووظف أبو نواس هذه اللفظة عوضاً عن اللفظة المتداولة أي لفظة طالحة أي طيبة لغرض التهكم. ^(١٩) وليس كما قال غير واحد أن القصد من " سالحة " هو التعبير عن مذهبه الذي يدعو إلى العكوف على المعاصي وانتهاج اللذة. ^(٢٠) إذن لفظة " سالحة " أصبح لها معنى تداولياً خاصاً عند أبي نواس في سياق خمرياته ولهوه . ويرجح الباحث معنى طالحة للفظة سالحة بوصفه القصد المتضمن في الخطاب استناداً إلى المحيط اللغوي للفظة " سالحة " لاسيما قوله : " عليك وجهٌ سيءٌ حاله " فلو كانت ليلةً سالحةً لما كان حال وجهه سيئاً .

المبحث الثالث : القصد وأنماط السِّياق

بما أنَّ التداولية تركز على المقصدية التي لا تتجلى إلا من خلال الاتصال اللغوي في مقام معين ؛ ونظراً لإرتباط فعل التلفظ بالفاعل (المتكلم) فإنَّ القصد يختلف من متكلم لآخر تبعاً لحال السِّياق من انجاز الحدث الكلامي رغم احتواء المتكلمين لنفس اللغة. ^(٢١) من ذلك الخطاب الآتي لأبي نواس : ^(٢٢)

يا أحمدُ المرتجى في كلِّ نائبةٍ فم سيدي نعصِ جبارِ السمواتِ

لقد ترك السِّياقان الداخلي و الخارجي أثراً كبيراً في تحديد القصد وكشف دلالة الخطاب. وبالرجوع إلى المصادر التي نقلت أخبار أبي نواس وشراح ديوانه نكون أمام ثلاثة سياقات . أحدهما لغوي داخلي والآخران خارجيان وبالشكل الآتي :

١- السِّياق اللغوي : بوصفه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي بما تشمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد في الكشف عن معنى الكلمة أو الجملة وعليه فإنَّ السِّياق اللغوي للشطر الثاني أي قوله : " فم سيدي نعصِ جبارِ السموات " ولاسيما عبارة " نعصِ جبارِ السموات " تحدد دلالة الخطاب بالنظر إلى سياق الانتاج الذي هو الخمر واللهو ، ومن ثم

تحدد القصد من لفظة " نعصي " القيام بالفاحشة وتحديد اللواط ، ومما يؤيد ذلك السياق اللغوي للأبيات التي سبقت وتلت البيت المذكور أعلاه . زد على هذا شيوع الفاحشة وطلب اللذة مع الغلمان وذكر المعاصي والمجاهرة بها في شعر أبي نواس . وعودا على السياق اللغوي الذي ورد فيه البيت السابق نقرأ قول أبي نواس : (٢٣)

من معشرٍ خُلِقُوا في الجود غايات	وداهريٍّ سما في فرعٍ مكرمةٍ
من العلى فعلا محض الضريبات	أوفت كنانةً تغليه ذرى درج
صاح الدجاج ببشرى الصبح مرات	ناديته بعد ما مال النجوم وقد
جلا التبسم عن غرِّ الثنيات	فقلتُ والليلُ يجلوه الصِّباح كما
قم سيدي نعصِ جبارِ السموات	يا أحمدُ المرتجى في كلِّ نائبةٍ
منسوبة لقرى هيت وعانات	وهاكها قهوةٌ صهباءَ صافيةً
باللينِّ طورا وبالتشديد مرات	ألدُّه بَحْمِيَّاهَا لأبسطةُ
حلو الشمائل محمود السَّجِيَّات	حتى تغنى وما تمَّ الثلاث له
أني أجالسُ لبني بالعشيات	" يا ليت حظي من مال ومن ولد

في هذه العملية التخاطبية امتزجت لذة الإتيان بالذكر مع لذة شرب الخمر والغناء والفعل الانجازي المصوغ بإسلوب فعل الأمر في قوله : " نعصِ " يتحدد معناه التداولي في سياقه اللغوي بفعل الفاحشة . ويستشف من مكونات الخطاب والعلامات اللغوية مثل شرب الخمر الصهباء كموضوع يشكل محور الخطاب وعلى أنغام الطرب والغناء - حتى تغنى - واجواء آخر الليل أو بالأحرى انبثاق الفجر بوصفه عنصرا سياقيا يحيل على الزمان والنوم مع غلام حسن الصورة والجسم - حلو الشمائل ، محمود السَّجِيَّات - بوصفه صفات جسدية ومعنوية للمخاطب كلها مؤشرات تقوي دلالة ارتكاب معصية المضاجعة مع الغلام - أحمد - أكثر مما يستوجب الخوض في مبادئ العقيدة ومسألة انكار الموجود من عدمه . لقد وظَّف قول أبي نواس الأنف الذكر بقصد آخر في سياق يمكن تسميته بسياق الإنتقام الشخصي لتحقيق هدف معين هو انزال الموت بالشاعر . فقد اتخذ من قوله :

يا أحمدُ المرتجى في كلِّ نائبةٍ	قم سيدي نعصِ جبارِ السموات
---------------------------------	----------------------------

دليلا على اتهام أبي نواس بالزندقة ، فقد نقل راويته أبو هفان بهذا الخبر الآتي : " أنه قيل لأبي نواس أن أم الربيع من مولدات اليمامة ، وأباه من مولدي المدينة ، فقال : فمن ثم

جمع آل الربيع (حُلاق) اليمامة في رجالهم ، وزناء إماء المدينة في نسائهم . ففمي الخبر الى الربيع ، فلم يزل به حتى حبسه وطالبه بالزندقة وادعاها عليه وأراد أن يوجبها عليه بين يديّ الرشيد فجمع له الفقهاء ودسّ إليهم الأموال وبعث الى من كان يحسده من الشعراء فأحضرهم ، ثم قال له : ألسنت القائل :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصِ جبّار السموات

قال : بلى . قال : يا أمير المؤمنين ، كافر! ثم إنفتت الى من حضر فقال لهم : ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء ؟ قالوا : صدق يا أمير المؤمنين. " (٢٤) .
تترشح من الرواية السابقة الملاحظات الآتية :

١- إنّ قول أبي نواس هنا يُنتج في سياق جديد وهذا محط عناية التّداوليّة ؛ لأنها مهتمة بصيغ لغوية ملفوظة في سياق . (٢٥)

٢- إنّ زمان التلفظ الربيع ومكانه يختلفان عن زمان انتاج النص ومكانه ، فالزمان عنده هو بعد حادثة اعتداء أبي نواس على آل الربيع " جمع آل الربيع حُلاق اليمامة في رجالهم وزناء إماء المدينة في نسائهم " ، والمكان هو بين يديّ الرشيد.

٣- استبعد الربيع بوصفه مؤولا عناصر السّياق لضبط المعنى الى سياق يخدم فيه قصده ، وغضّ الطرف عن قصديّة المتكلم .

وإذ كانت " الأقوال تؤول بحسب السّياق بوساطة عمليات استدلالية ذات صبغة استنباطية " (٢٦) فإننا نجد قول أبي نواس : " قم سيدي نعصِ جبّار السموات " يَخرج من سياقه الحقيقي وهو سياق الخمر والمجون والتّهتك الى سياق سياسي لخدمة هدف محدد هو اسقاط الخليفة العباسيّ محمد الأمين ؛ لأنّه " لما وقع الخُلف بين الأمين والمأمون ، كان ذا - الرياستين يخطب بمساوئ الأمين ، وقد أعدّ رجلا يحفظ شعر أبي نواس ، فيقوم بين يديه ويقول ، ومن جلسائه رجلٌ ماجن ، كافرٌ ، مستهزئ ، متهمك ، يقول كذا وكذا وينشد قوله :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصِ جبّار السموات

وغير ذلك من قبائح شعره ومجونه " . (٢٧)

وتكشف لنا هذه الرواية أن خطاب أبي نواس أعيد انتاجه تحت ظرف خاص . لإستخلاص قصد جديد يعكس رغبة المنتج الجديد . لقد كان زمن انتاج هذه الدلالة هو زمن الصراع بين الأمين والمأمون وقد استثمر طرفا النزاع الوسائل المختلفة من أجل احتواء الآخر ، وكان

الشعر أحد تلك الوسائل . أما مكان انتاج هذا القصد الجديد فكان خراسان ، المعقل الحصين للمأمون العباسي .

ومن زاوية أخرى يكشف هذا المقطع من الرواية " فكتب بذلك الى محمد الأمين عيونه . فجزع له ، وأمر بقتل أبي نواس " ثقافة الأمين بوصفه متلقيا قياسا الى ثقافة المتكلم - أبي نواس - وكيف واجه تهمة الزندقة والكفر بقوله للأمين : " يا أمير المؤمنين إن كانوا قالوا هذا بعقولهم ، فما أنقصها ! وإن كانوا قالوه بأرائهم ، فما أجهلهم ! أياكون زنديقا مقراً بأن للسموات جبّارا ؟ " . (٢٨)

إنّ أبا نواس كشف الغطاء هنا عن ضحالة ثقافة المتلقين من جانب ومن جانب آخر يكشف عن قصده بطريقة حجاجية أفنعت المخاطب فجاء الفعل التأثري على نمطين الأوّل: لغوي تمثّل بقول الأمين: " لا والله، ولقد صدقت. قم " والثاني سلوكي؛ لأنّه قام بإطلاق سراحه. (٢٩)

إنّ ذا الرياستين في الحقيقة لم يفشل في الوصول الى قصد أبي نواس ؛ لكنه حاول تضليل الرأي العام من خلال التأويل التجزيئي لمقطع من قول أبي نواس ومن هنا " فإنّ تأويل خطاب يعني نسبة مقصد إخباري الى القائل ولكن المقصد الإخباري لم يعد متصلا بقول واحد بل بمجموع الأقوال التي تكون الخطاب وللتمييز بين هذا الضرب وذاك يسمى المقصد المتصل بالقول مقصدا موضوعيا والمقصد المتصل بالخطاب مقصدا إجماليا . (٣٠)

وهذا يعني أنّ كلا من هارون الرشيد والمأمون لم يستثمرا عناصر السياق للوصول الى قصد المرسل عند انتاج الخطاب ، ومما يعضد ذلك أنّ " قصد المتكلم لا يمكن التعرف عليه من خلال ما يمتلكه القول من علامات ومؤشرات وقرائن لسانية فقط ، وإنّما يستدل عليه كذلك من مقام القول بعناصره المختلفة وبأطرافه هويتهم وعلاقاتهم ومعارفهم المشتركة وقدراتهم على التعبير والتأويل " . (٣١)

المبحث الرابع : السياق وبنية الأمثال

لعل أهم ما يمثّل السياقات الاجتماعية التي يخرج فيها اللفظ عن معناه المتداول هي كون اللفظ مستعملا في سياق الأمثال المتداولة والتي تختلف من ثقافة الى أخرى ومن جماعة الى جماعة أخرى . (٣٢)

ومن النماذج التي تعكس الأمثال في سياقات متنوعة الخطاب الآتي لأبي نواس يمدح فيه الفضل بن الربيع استهله بدعوته للتجديد: (٣٣)

يا ربيع شُغْلِكَ إِنِّي عَنْكَ فِي شُغْلٍ	لا ناقتي منك لو تدري ولا جملي
عَلِيَّ عَيْنٌ وَأَنْزٌ مِنْ مَذْكُورَةٍ	موصولة بهوى اللّوطيّ والغزل
كلاهما نحوها سام بهمته	على اختلافهما في موضع العمل
كم قائل لك : من داعٍ وقائلةٍ	نفسي فداءً أبي العباس من رجلٍ
يفديانك ما اسطاعا بجهدهما	ويسألان لك التأخير في الأجل

افتتح أبو نواس قوله هذا بخرق معمارية قصيدة المديح واستهلهما بصيغة النداء يقوله " يا ربيع " لكنه نداء فراق لا نداء ودّ ووصال ؛ لأنّ الطلل أو الربيع ليس محط عناية و لا شأن له به وفي هذه القصيدة المدحية نرى مطلع المديح وقصر القطعة والمجون وكل هذا يكسر أفق المتلقي ويخالف ما ألفه الأقدمون من معايير قصيدة المديح .

لقد وظّف أبو نواس المثل المضروب " لا ناقة لي ولا جمل " أي لا شأن بك يا ربيع أو الطلل . والقصد من المثل بدا واضحا فقد سحب أبو نواس المثل من بيئته الخاصة الى محيط آخر نفذ من خلاله الى قصده . إنّ لفظتي الناقة والجمل هما علامتان تحيلان في سياقها الوجودي الواقعي الى قيمة وثروة مادية كبيرة ولاسيما في الحياة البدوية أما تداوله في عصر الحضارة والترّف فكان بقصد القيمة الإعتبارية لا تداعيات دلالاتها في الحياة الإجتماعية .

ومن الأمثال المستعملة في سياق تداولي معين قول أبي نواس في مدح العباس بن عبيد الله ابن جعفر: (٣٤)

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ	لست من ليلي ولا سمره
لا أدودُ الطيرَ عن شَجَرٍ	قد بلوتُ المرَّ من ثمره

الخطاب المدحي مستهل بنداء المنتاب أي الزائر والمقتضى القضي لهذا الخطاب يتلخص بالآتي : " أنت جافٍ فأنا أتركك ولا أمتع منك من يريد مواصلتك ؛ لأنّي ذقت مودتك وجرّبتها فوجدتك غداراً بمن أحبك جافياً لمن يريدونك " . (٣٥)

بيد انّ المعنى التّداولي للخطاب يكشف عن قصد مغاير للدلالة القضوية بعد ربط النص بالسياق ، هو أنّ المتكلم قال هذا البيت في صاحبة له كان يحبها فأختلفت الى رجل من البصرة ، ثم جاءت ليلة فوبّخها وطردها . (٣٦)

إنّ السياق المقامي احوال العلامات اللغوية الى مرجعيات محددة في ذهنية المرسل فهو قصد من لفظة " الطير " الرجل البصري الذي كان يزور صاحبتة خلصة ، أما " الشجر " فيحيل على صاحبة ومجيء لفظة " شجر " نكرة دلالة على أن المرأة أصبحت مشاعة لكل الناس " قد بلوت المرّ من ثمره " فالدلالة القصدية للمتكلم من لفظة " المرّ من ثمره " هي الغدر بمن أحب والجفاء للحبيب .

إنّ السياق النفسي المتأزم للمتكلم بسبب الخيام والغدر من طرف صاحبة قد عكس هذا الخطاب ومن ثم أنتج فعلا انجازيا منفيا أي نفي المنع من سلوكها المشين بقوله " لا أذود الطير عن الشجر " ، ومن ثم " فالخطاب ليس له معنى إلا من خلال السياق الذي يجري فيه ويتغير معنى التلفظ بحسب وضعيات الخطاب التي تقدم بعض المؤشرات على السلوك الكلامي فيتماسك ويقوى ترابطه ؛ لأنّه يرتبط بمعارف مشتركة تكونت للمشاركين في عملية تلفظ مسبقة وهو ما يجعل الترابط متينا وقويا بين أجزاء الخطاب وعلاقته بالوضعية التي يجري فيها الخطاب مما يمنح السياق مجالا لتحديد المعنى . (٣٧)

النتائج

بعد هذه الرحلة الممتعة مع شعر أبي نواس ومعانيه في مسائل السياق والقصدية

يمكن أن نوجز نتائج هذا البحث بما يأتي :

١. تتمتع تداولية النص الشعري النواسي بحركية الألفاظ والتراكيب دلاليًا في سياقها المقالي والمقامي .
٢. ليس بالضرورة أن يحيل المبنى الكلامي على مغزى المتكلم في حال تجريد اللفظ من سياقه.
٣. استعمل أبو نواس استراتيجيات متنوعة من توجيهية ، وتضامنية ، وتلميحية لإنجاز عملية التواصل وانسجمت تلك الإستراتيجيات مع السياقات المختلفة التي وردت فيها.
٤. يستثمر المتكلم السياق لإغداق دلالات جديدة على ملفوظات .

٥. وظّف المرسل اليه المعرفة المسبقة لحال المرسل ومقام المقال للوصول إلى قصدية المتكلم.
٦. كشف البحث التمييز بين نوعين من القصد ، الأول هو المقصد الوضعي وهو المتصل بالقول ، والآخر المقصد الإجمالي وهو المتصل بالخطاب .
٧. كشفت المعالجة التداولية عن قدرة المتكلم في تعرية مستوى المستمع ثقافياً بوساطة الخطاب الحجاجي .

Abstract

Context and Intentionality : A pragmatic Approach to Abu Nu'as's Poetry – Application and Concept

Key word : Context

A Ph.D. dissertation derived paper

Asst. Prof. Ali Mit'ib Jassim

Asst. Ins. Hussein Umran

Mohammad (M.A.)

University of Diyala/College of Education for Human Sciences University of Garmian , School of Languages and Humanities

This study seeks to review and analyze the poetic context one of the greatest poets of Arabic Abbasi Era in Arabic literature who is Abu Nu'as. This review relies on the term 'context' which is common and effective in linguistic theory in general. It has taken a wide range in pragmatic studies due to its effect on both modern linguistic studies. The other term discussed is 'intentionality' which is a cornerstone on pragmatics.

The study started with a theoretical introduction dealt with the importance of context and its parts and the difference between purpose and intention. The body of the study constituted of four sections. The first one shed the light on context and the language of the society while the second one dealt with civilized context and casual clichés. The third section dealt with intentionality and types of context; and the last section discussed context and structure of proverbs. The study ended by the most important conclusions

الهوامش

- (١) ينظر علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يوثيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطليبي ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م : ٣٤
- (٢) ينظر استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر ، دار الكتاب الجديد المتحدة و ط ١ ، ٢٠٠٤ : ٤٠
- (٣) ينظر التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، تحرير أ.د. بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة و لندن ، ط ١ ، ٢٠٢١ م : ١٢٣
- (٤) ينظر م . ن : ١٢٣ - ١٢٤
- (٥) استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١٩٦
- (٦) ينظر علم النص مدخل متداخل الإختصاصات ، تون أ. فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحري ، دار القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ : ١٢٣
- (٧) ينظر المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية دمشق ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م : ٣٥
- (٨) ديوان أبو نواس برواية الصولي ، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م : ٥٥٣ - ٥٥٤
- (٩) ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمد أنيس مهراث ، دار مُهراث للعلوم سورية - حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م : ٧٢
- (١٠) ينظر ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق ايفالد فاغمر ، جمعية المستشرقين الألمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م : ١١٤ ١٢
- (١١) ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ، من بحث " سلطة الوصائل البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله " ، خليفة الميساوي : ٣٦٩
- (١٢) التداولية ، جورج يول ، ترجمة د. قصي العنابي ، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م : ١٩
- (١٣) ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، حققه وضبطه وشرحه ، أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ م : ٦٤٥
- (١٤) ينظر أمراء الشعر في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، آب ، ٢٠٠٨ م : ٣١
- (١٥) ديوانه ، الحديثي : ١٣٥
- (١٦) ديوانه ، الغزالي : ٤٦
- (١٧) ديوانه ، الحديثي : ١٢٥

- (١٨ - ١٩) - ينظر أبو نواس: عمر فروخ ، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط ٢، شباط ، ١٩٦٤ م : ٨
- (٢٠) - ينظر ديوانه ، الغزاليّ : ١٥ ، الحديثيّ : ١٢٥ ، محمد أنيس مهراث : ١٩٩
- (٢١) - ينظر قضايا تداوليّة في دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ثقبايث حامدة ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، ٢٠١٢ م : ٦٤
- (٢٢) - ديوانه ، الحديثي : ١٠٩
- (٢٣) - م . ن : ١١٩ - ١٢٠
- (٢٤) - أخبار أبي نواس ، أبو هفان بن حرب المهزي ، تحقيق وتقديم فرج الحوار ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١ م : ١٤١
- (٢٥) - ينظر نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، أ. د. منال " محمد هشام " سعيد نجار ، تقديم أ. د. نهاد الموسى ، عالم الكتب الحديث ، الأردن - إربد ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م : ١٧
- (٢٦) - التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة د . سيف الدين دغفوس وآخرون ، مراجعة د. لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، تموز ٢٠٠٣ : ٢١٦
- (٢٧) - أبو نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه ، ابن منظور المصري ، قدم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمة وتبويبه عمر أبو النصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ م : ١٢٦
- (٢٨ - ٢٩) - م . ن : ١٢٦
- (٣٠) - التّداوليّة اليوم علم جديد للتواصل : ٢١٦
- (٣١) - المقام في البلاغة العربية : دراسة تداوليّة ، د. شكري الطوانسي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٤٢ ، يوليو - سبتمبر ، ٢٠١٣ : ٨٥
- (٣٢) - ينظر المعنى خارج النص : ٣٦
- (٣٣) - ديوانه ، الحديثيّ : ٤٩٩
- (٣٤) - ديوانه ، الحديثي : ٣٩٩
- (٣٥) - أبو نواس لإبن منظور : ١٣٩
- (٣٦) - ينظر ديوانه ، محمد أنيس مهراث : ٣٥٦
- (٣٧) - ينظر التّداوليّات علم استعمال اللغة ، من بحث " سلطة الوسائل البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله " ، خليفة الميساوي : ٣٦٤

المصادر

- أبو نواس : عمر فروخ ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، ط ٢ ، شباط ، ١٩٦٤م
- أبو نواس في تاريخه وشعره ومبأذله وعبثه ومجونه ، ابن منظور المصري ، قدم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمه وتبويبه عمر أبوالنصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩م
- أخبار أبي نواس ، أبو هفآن بن حرب المهزي ، تحقيق وتقديم فرج الحوار ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١م
- استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر ، دار الكتاب الجديد المتحدة و ط ١ ، ٢٠٠٤م
- أمراء الشعر في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، آب ، ٢٠٠٨م
- التداوليات علم استعمال اللغة، من بحث " سلطة الوسائل البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله" ، خليفة الميساوي
- التداولية ، جورج يول، ترجمة د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
- التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، تحرير أ.د. بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة و لندن ، ط ١ ، ٢٠٢١م
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل : أن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة د . سيف الدين دغفوس وآخرون ، مراجعة د. لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، تموز ٢٠٠٣م
- ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠م
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، حققه وضبطه وشرحه ، أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤م
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق ايفالد فاغنز ، جمعية المستشرقين الألمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣م
- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمد أنيس مهراث ، دار مهارات للعلوم سورية - حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩م

- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يوثيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبيّ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ط ٢ ، ١٩٨٨م
- علم النص مدخل متداخل الإختصاصات ، تون أ. فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحري ، دار القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٥
- قضايا تداولية في دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني: ثقبايث حامدة، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٢م
- المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية دمشق ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م
- المقام في البلاغة العربية : دراسة تداولية ، د. شكري الطوانسي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٤٢، يوليو - سبتمبر ، ٢٠١٣
- نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، أ. د. منال " محمد هشام " سعيد نجار، تقديم أ.د. نهاد الموسى، عالم الكتب الحديث ، الأردن - إربد ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م